المحاضرة الثانية: النظريات المفسرة للحراك الاجتماعي:

تتفق أغلب المؤلفات التي تناولت الحراك الاجتماعي على أن المدرسة الأمريكية كانت الأسبق إلى طرح المفهوم في خضم الصراع الفكري والابستمولوجي الذي شهدته النظرية في علم الاجتماع المعاصر، ثم يبدوا أن المدارس الأوربية وعلى رأسها المدرسة الانجليزية والفرنسية، قد حاولت إدخال هذا المفهوم بواسطة الطرق الإحصائية وبواسطة التركيز على البحوث الأمبريقية التي تأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المتغيرات كالحركات الاجتماعية والثقافية والتربوية.

التيارات الأساسية المفسرة للحراك الاجتماعي:

- **ابن خلدون ونظرية الحراك الاجتماعي:**

عالج ابن خلدون الحراك الاجتماعي في إطار مسألتي الحراك والثبات"، وذلك بواسطة جدلية البدو والحضر، وكان حينئذ اجتماعهم يقصد البدء وتعاونهم في حاجاتهم من القوت والسكن والدفء، إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، حيث تناول ابن خلدون المؤشرات الأساسية للحراك الاجتماعي عندما تكلم عن كيفية اكتساب الأشخاص أو الطوائف للثروة أو المال أو الجاه، فحراك الأجيال لا يتم إلا طبقا لنمط حياتم ومعيشتهم، مدخلا بذلك البعد الجغرافي للحراك الاجتماعي، ثم يتكلم ابن خلدون" عن ما هو ضروري وكمالي في المجتمعات وهذا ما يؤثر على سيرورة الحراك الاجتماعي تتلك المجتمعات، فالضروري يقارن بحياة الفقر والحرمان، أما الكمالي فهو ما يزيد عن حاجات الناس الضرورية.

كما تناول ابن خلدون فكرة أساسية في الحراك الاجتماعي ألا وهي مؤشر الثروة وهذا المؤشر لم يتناوله حتى المنظرون المتخصصون في الحراك الاجتماعي، بقوله:" إن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة" وهنا يتناول ابن خلدون فكرة جوهرية في الحراك الاجتماعي، وهي أنه كلما تقوت الدولة كثرت الثروة ولم تظهر الاضطرابات على السطح، لكن عندما يصيب الدولة الاضمحلال والثروة تقل ما يؤدي إلى بروز الثورات والانتفاضات نتيجة لعدم المساواة في الحظوظ والظلم والقهر.

كما تناول "ابن خلدون" "الحراك الاجتماعي التنازلي فخصصه في مصطلح "هرم أو شيخوخة الدولة". حيث تفسد الأقوات والنعم على السلطة الحاكمة والارستقراطية وهنا كتجسيد الحراك الهابط بصورة مباشرة على الشعب والسلطة الحاكمة وهذا ما يؤثر على التجار والحرفيين والمزارعين حيث تفسد رؤوس أموالهم ولا تكبر وهنا يتجسد الحراك الهابط في نظر ابن خلدون.

أشار أيضا إلى مسألة الحراك التصاعدي الذي يتشكل على أثر علاقة البدو بالحضر، وهو ما تشهده اليوم المجتمعات الحديثة بالانتقال من الريف إلى المدينة، وهذا ما لاحظه ابن خلدون وهو انتقال البدو إلى الحضر. فكماليات العيش تشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضرورات وهو الانتقال من البداوة إلى الحضارة.

الأدبيات الأوربية في الحراك الاجتماعي والمهني:

- **الوضعية:**

تناول **أوغيست كونت** في نظرية الحراك الاجتماعي من خلال المسلمة التالية الإنسان لا يشكل البداية وإنما هو وريث"، حيث تناول في نظريته عن التطور الاجتماعي، ومكانة الطبقة العاملة، والطبقة البرجوازية الصاعدة في إطار هذا التطور، إلى أين يتجه وإلى أين يدفعنا تطور الإنسانية؟ وهل أخذ الطابع الصحيح؟

حيث تناول موضوع الديناميكية الاجتماعية والحراك الاجتماعي" حيث يرتبط مفهوم الحراك عند **كونت** بمفهوم التقدم بكل ما يشكله من تسارع في التطور الاجتماعي، وتحديد التقسيم الخاص بالعمل في إطار مجموع العمل البشري، أي التغير الاجتماعي الذي يطرأ على البيئة الاجتماعية ولا يمكن أن تعزل الحراك الاجتماعي عن التغيير الاجتماعي وأثره على البيئة الاجتماعية.

- **التطورية:**

تنطلق "تطورية" **هربرت سبنسر** من مبدأ أساسي وهو: "التطور هو المفهوم الرئيسي لفهم العالم، ومكانة الإنسان فيه"، كما أن "تفسير الظواهر الاجتماعية تتم من خلال تحليل التوازن المتحرك" والحراك الاجتماعي ليس بمعزل عن هذا التطور والحركية، حيث يتكلم "هربرت سبنسر" عن نمطين من المجتمعات، المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري حيث يرتبط هذان النمطان بالآثار الخطيرة للحراك الاجتماعي.

- فالنمط الأول: يقع ضمن إطار ما يسمى كيف صيانة المجتمع داخليا والتعاون فيه اختياري، وغاية التنظيم الاجتماعي فيه تهدف إلى الزيادة في الإنتاج وتوفير الرفاعية الاقتصادية للمواطنين وهذا ما يسمى بالحراك الاقتصادي، وأيضا الاعتراف بالحقوق الشخصية في المجتمع وهو ما يسمى بالحراك الاعتباري، وظهور تنظيمات طوعية حرة تسعى لتحسين الظروف المادية والمعنوية للأفراد وهو ما يسمى بالحراك الاجتماعي المفتوح.

– أما النمط الثاني: يقع في إطار نفس النظام أي الحماية من الأخطار التي كان يتعرض لها المجتمع من الخارج والتعاون الإجباري ووجود سلطة مركزية ومستويات عليا للضبط الاجتماعي، فالقائد العسكري. هو الذي يتمتع بقوة مسيطرة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية تخضع فيها الأدنى للأعلى خضوعا تاما وهنا تجسيد الحراك الاجتماعي الهابط وحدودية العراك الصاعد.

– **ماكس فيبر والحراك الاجتماعي:**

تكلم **ماكس فيبر** عن مظهرين اجتماعيين يجسدان الحراك الاجتماعي في المجتمعات إلا وهما القوة والهيمنة فالأول يعني وجود الانتصار داخل العلاقات الاجتماعية والإدارة الخاصة في مواجهة التحديات (السياسية والاقتصادية والدينية والمنزلية والبيداغوجية)، والثاني يعبر عن وجود خط للعثور على الأشخاص المطيعين للأمر، فالهيمنة تتأسس على العلاقة بين القيادة والطاعة، وقد تتعلق بإرادة شخص خارج عن كل الجمع أو جهاز إداري.

– **تيار كارل ماركس وفريدك انجلز:**

يسهل **كارل ماركس وانجلز** البيان الشيوعي بموقفها الواضح من لبقول: إن الحراك الاجتماعي في تاريخ المجتمعات. إلى يومنا هذا تاريخ صراع الطبقات. ويضيفان: هناك على مر العصور: أحرارا وعبيدا أي سائدين ومسودين.

وقد تطرقا إلى خمسة مؤشرات في الحراك الاجتماعي أطلقا عليه ما يسمى بالحراك التنازلي" وتتمثل في الاغتراب الاجتماعي، والتناقض بين المدينة والريف، وبنية العائلة وأخيرا مسألة التربية.

دور الاغتراب الاجتماعي:

تناول كارل ماركس مفهوم الاستلاب والاغتراب من خلال طرحه إشكال ألا وهو أن المجتمعات تمتلك خيرات مادية ضئيلة فلا يستطيع الإنسان الحصول على هذه الحيوات بصورة خاصة واحتكارها من الطبقة البرجوازية، حيث يرى ماركس أن الإبداع الإنساني ضاع وانحرف عن هويته السوية، حيث أن الملكية الخاصة تفصل بين الإنسان وعمله، بينه وبين الجماعة الإنسانية التي يعيش معها، بتغرب العامل عن عمله أولا ثم عن نتائج عمله بفعل الملكية الخاصة، فعمل العامل لا يعود إليه بل يذهب إلى من يملك وسائل الإنتاج.

ويقول كارل ماركس أن العامل يفقد شخصيته ويتحول إلى قوة عمل تخضع لمعاير السوق مثله من السلعة، كما يفقد هويته وإنسانيته يفعل الاغتراب ويصح اعتباره اجتماعيا منحطا، فيزداد العامل فقرا والرأسمالي

غنا كلما زاد حجم الإنتاج، فالعامل يصنع الأشياء ولا يملكها، ينتج الحياة ويموت جوعا ومرضا وينشئ القصور ولا يجد لنفسه إلا الرواتب.

- التناقض بين المدينة والريف:

إن التناقض بين المدينة والريف، يوليه كل من ماركس وانجلز الأهمية الكبرى لأنه أساس تقسيم العمل ولأنه يساهم في تغيير البنيات الاجتماعية ويساهم في الحراك الاجتماعي الريفي، بل إن التاريخ الاقتصادي. والحضاري للمجتمع بأسره يرتبط بهذا الانقسام بين الحضر والريف.

ففي المجتمعات الرأسمالية مستوى الصراع الطبقي والحاجات الاجتماعية متماثلة بين الأرياف والمدن، كما أن الإنتاج الرأسمالي يساعد على تركيز سكان المدن في المناطق الكبرى، وعلى بعثرت سكان الأرياف ويهدم القيم التي اعتادها الشغيلة الريفيون، فالمستفيد من نماذج الحراك التصاعدي هم سكان المدينة مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية ومهما كان التمايز الاجتماعي واضحا بينهم.

بنية العائلة والحراك:

أدت الثروة والميراث والملكية الخاصة والانقسام الطبقي أدوار في تطور واختلاف الأشكال العائلية، فالعائلة باعتبارها خلية أساسية في المجتمع تتأثر بمختلف المؤسسات الموجودة في المجتمع، وهذه الأنظمة أو المؤسسات تتبع التغيرات التي تحدث في البنية العضوية.

فالميرات كشكل حقوقي من أشكال الملكية لم يظهر إلا طبقا لضرورة اجتماعية تتمثل في ترك الممالك والثروة لعائلته، وهذا الإطار من الميراث لم يخرجها عن إطار النسل المنسوب إلى الأم، فقرابة الأم هي المستفيدة من الحراك الاقتصادي.

لكن "الزوج الفردي" قلب الموضوع وأصبحت الثروة والميراث في إطار النسل المنسوب إلى الأب وتوجه الحراك الاقتصادي نحو طابع الأبوة والانتماء الأبوي.

ويرى "ماركس وانجلز" أن الحياة المرغوب فيها تقتضى القضاء على الخلية العائلية باعتبارها تنظيما فرعيا للمجتمع الفرداني. **مسألة التربية وعلاقتها بالطبيعة:**

لقد خصص كارل ماكس فقرات كاملة في "رأس المال" لعمل الأطفال والنساء للمدرسة والذي يكرس الحراك الاجتماعي الهابط بالنسبة للطبقة الكادحة حيث تمكن كارل ماركس الحراك الاجتماعي، فالأساتذة الذين يعلمون الأطفال ويعملون على الرفع من مستواهم التعليمي، الذي يعتبر من بين مؤشرات الحراك الاجتماعي

الصاعد واحتكار التعليم المرموق بالنسبة للطبقة البرجوازية مما يكرس سياسة التباعد الطبقي ويؤثر على الحراك المصاعد بالنسبة للطبقية الدنيا.